وحدة الهجرة القسرية واللاجئين
Forced Migration and Refugee Unit

جامعة بيرزيت
BIRZEIT UNIVERSITY
معهد ابراهيم أبو لغد للدراسات الدولية
Ibrahim Abu-Lughod Institute of International Studies

Working Paper Series – Migration and Refugee Studies Module

Ibrahim Abu-Lughod Institute of International Studies – Birzeit University

صورة الوطن المفقود: ذكريات المرأة الفلسطينية اللاجئة: دراسة مقارنة مع صور الرجل اللاجئ قبيل وبعيد نكبة 1948

IMAGES OF THE LOST HOME LAND: PALESTINIAN REFUGEE WOMEN MEMORIES IN COMPARISON TO REFUGEE MEANS BEFORE, DURING AND AFTER THE NAKBA OF 1948

رفعة مصطفى أبو الريش

Refa Mustafa Abu Al-Reesh

معهد إبراهيم أبو لغد للدراسات الدولية – جامعة بيرزيت

سلسلة أوراق عمل 21/2011 (عربي) – نموذج دراسات الهجرة واللجوء

IALIIS-BZU-WPS 2011/21 (ARA)

MRS Module

Editor-in-Chief: Asem Khalil

Editorial Board: Yaser Amouri, Raed Bader, Helga Baumgarten, Youssef Courbage, Philippe Fargues, Roger Heacock, Marwan Khawaja, Ray Jureidini, Mehrene Larudee Majdi Al-Malki, Magid Shihadeh.

Design & Layout: Yasser Darwish

2011

*** Co-financed by the Ibrahim Abu-Lughod Institute of International Studies (IALIIS) - Birzeit University (BZU) & the International Development Research Centre (IDRC), Canada. The views expressed in this publication cannot in any circumstances be regarded as the official position of IALIIS, BZU or IDRC. The IALIIS can be reached at: ialiis@birzeit.edu**

Electronic copy available at: http://ssrn.com/abstract=1764259

صور الوطن المفقود: ذكريات المرأة الفلسطينية اللاجئة:

دراسة مقارنة مع صور الرجل اللاجئ قبيل وبعيد نكبة 1948

رفعة مصطفى أبو الريش*

1. مقدمة

تعتبر هذه الدراسة محاولة في كتابة بعض الأجزاء من التاريخ الاجتماعي والاقتصادي للفلسطينيين من مدن "يافا، اللد، الرملة، القدس وقراهم"، والذين لجأوا بعد النكبة والتهجير إلى مخيمات وسط الضفة الغربية (مخيمات الأمعري، الجلزون، قلنديا، قدروة، سلواد، بيرزيت)، بالإعتماد على رواياتهم وحكاياتهم الذاتية حول ظروف حياتهم الإجتماعية والإقتصادية بالذات، قبل النكبة وبعدها، لأن الدراسات التي تناولت تاريخ الفلسطينيين لم تعط هذا الموضوع حقه في البحث والدراسة، بل ركزت على الدور السياسي بالأساس. يقول كيث وايتلام في كتابه "إختراع إسرائيل القديمة – إسكات التاريخ الفلسطيني" بالرغم من أن "البحث التواتي الغربي إستخدم مصطلح "فلسطين" دائماً إلا أنه تمت تعرية المصطلح من أي معنى حقيقي إزاء البحث عن "أرض إسرائيل" القديمة. وليس لفلسطين معنى جوهري قائم بذاته، ولا تاريخ خاص بها، لكنها تقدم خلفية لتاريخ إسرائيل. ويتساوى مع غياب التاريخ غياب آخر لسكان الأرض، وإن تاريخ فلسطين وسكانها بشكل عام مهمش ومسكت نتيجة الإهتمام والبحث عن إسرائيل القديمة (وايتلام 1996، 40- 45) في (مصالحة 2003، 19).

تأتي أهمية الدراسة كونها تسلط الضوء على أدوار الجنسين الإقتصادية والاجتماعية، وتبرز تجارب النساء الريفيات، ونساء الطبقة الفقيرة في المدن، ونساء الريف الفقيرات اللواتي هاجرن إلى المدن مع أسرهن على أثر التحولات الإقتصادية والإجتماعية التي اجتاحت فلسطين في أواخر الحكم العثماني، وأثناء الانتداب البريطاني، والتي فرضت عليهن قسراً، وتحاول الدراسة إعتبارهن ذوات فاعلة في التاريخ، وإظهار دورهن الإيجابي في الحياة الفلسطينية خلال حقب تاريخية متعددة، "من أجل إحداث تغيير أو تطور في حياتهن الثقافية والإجتماعية يكون أكثر عدلاً، وأكثر توازناً لهن ولجميع أفراد المجتمع، ولتوجيه الإهتمام لقراءة التاريخ العربي من

* هذا ملخص لرسالة ماجستير تم إعدادها في برنامج دراسات المرأة في جامعة بيرزيت.

Electronic copy available at: http://ssrn.com/abstract=1764259

منظور النوع الإجتماعي، من منطلق أن النساء يشكلن جزءً هاماً من المجتمع، وتم إستبعادهن وتهميش دورهن من التاريخ الرسمي المدون، بتقليص حجم وأهمية مساهمتهن، مما أدى إلى تشويه التاريخ، ومن ثم تشويه الذاكرة الجماعية، ونظراً إلى أهمية الذاكرة الجماعية في تشكيل الهوية، وفي تحديد عناصر الإنتماء والترابط بين أفراد المجتمع الواحد، فإن البعد التاريخي يكتسب أهمية خاصة" (الصدة ورمضان وابو بكر 1998، 1).

تبحث الدراسة في الصور لدى النساء الفلسطينيات مقارنة مع الصور لدى الرجال من منطلق الإفتراض بأن هناك إختلافات واسعة في الأدوار الإقتصادية والإجتماعية ضمن الواقع الفلسطيني المتحول الذي ترك بأثره على واقع كل من الرجال والنساء، والنساء أنفسهن "نساء المدينة والريف" داخل المجتمع الفلسطيني وصورهم قبل النكبة، وحسب إسماعيل الناشف "الصورة الذهنية المتصورة هي نسخة عن الواقع الحسي المعايش حيث هي بمثابة مرشد للمتلقي الباحث في أحوال هذا الواقع، بحثاً معرفياً و/ جمالياً، بحيث تكون وظيفة الصورة إرشادية. وفي كون الصورة نسخة عن الواقع فأحياناً عندما يتعذر الوصول إليه فإننا نكتفي بالنسخة ونهمل الأصل. في هذه المقولة فهم أساسي وهو أن الصورة في حقيقتها تلخيص مكثف لأهم العلاقات ومركباتها التي تبني الواقع كما هو حقاً" (الناشف 2007، 115).

2. الذاكرة الجماعية والهوية

عملت الدراسة على تأريخ صور سكان الأرض الأصليين المقتلعين من أراضيهم قسرياً عام 1948، وكتابتها في التاريخ الفلسطيني لتكون مصدراً من مصادر المعرفة التاريخية المتعلقة بفلسطين الإنتدابية لكي يبقى الوطن المفقود في وعينا الفردي والجماعي حاضراً بالاعتماد على الذاكرة الفردية والجماعية، لأنها أمر مهم سيساعد في إظهار ورسم الصور لدى الفلسطينيين، وتحديد مكوناتها واختلافات الأدوار الإقتصادية والإجتماعية فيها، من خلال الرواية الشفوية المعتمدة على السير الذاتية والحكايات المختلفة للراويين بناءً على تجاربهم الحياتية عبر تاريخهم التراكمي على أراضيهم قبل اقتلاعهم منها عام 1948.

يحذر جويل كاندو (Joel CANDAU) في كتابه (Mémoire et identité) من أن المدى الذي يشغله فن الذاكرة في العالم الحديث خطير جداً، حيث يستفيد منه المؤرخون والمؤسسات والمواطنون المثقفون منهم والعاديون، غير أنه يُساء إستخدامه واستغلاله إلى حد كبير لأن الذاكرة ليست ممثلة في شيء ساكن يمتلكه أي إمرئ أو يحتويه، بل هي شيء قابل للتركيب وإعادة الصياغة (Nova 1948, 1) في (سعيد 2000، 120) ويؤكد إدوارد سعيد على أن الذاكرة ليست بالضرورة أن تكون ذاكرة أصلية، بل هي على الأصح ذاكرة نفعية أي يمكن إستغلال الذاكرة وتوظيفها من خلال الإختلاق والحذف حسب المصالح الذاتية لشعب من الشعوب حيث يلاحظ تصرف الإنسان في الإرث بالاختلاق والحذف، وهو منهج واقعي في استخدام الذاكرة الجمعية من خلال طمس قطع معينة من الماضي القومي وإبراز البعض الآخر بأسلوب توظيفي بكل ما في الكلمة من معنى وخير

مثال على ذلك الكيفية التي وظفت بها قضية الهولوكوست[1] لتعزيز الهوية القومية الإسرائيلية بعد سنوات من عدم الإكتراث بها (سعيد 2000، 122).

وبذلك تمس الأفكار المتعلقة بأهمية الذاكرة الجماعية في الصراع الإسرائيلي الفلسطيني تساؤلات عن الهوية الجماعية، وعن التاريخ مثلما تمس كتاب التاريخ والأيديولوجيا[2] والمكان والزمان، والتساؤل عن ظاهرة القومية،[3] والهوية القومية على السواء، لا يدركان على إنهما ظاهرتان طبيعيتان، محددتان من الوجهة الثقافية، بل إنهما تركيبان مشتقان من موقف سياسي تاريخي محسوس (يوغرست 2007، 309).

ويرى هلبواكس أن الذاكرة الجماعية تشكلت بفعل الإطار الإجتماعي وتم تقييدها في الإنسان وإنها انبثقت من الفرد بموجب تواصله مع الآخرين وانتمائه إلى المجموعات الاجتماعية، وكل ذاكرة فردية تحتاج بناءً على ذلك إلى إطار التعلق الإجتماعي لتضرب بجذورها وتترسخ وتحافظ على ذاتها، والإطار الإجتماعي لا يعتمد في أثناء ذلك على ذاكرة ذات حدة متراصة وتناغم كلي، غير أنه يحدد ذكريات أعضائه كل على حدة ويتحدد هو نفسه من جراء ذلك، ومع ذلك فيما يختلف في الذاكرة لا يكون كيفما اتفق أو على نحو تعسفي. والحق أنه بينما يتذكر الفرد تقرر الفئة الاجتماعية ما هو جدير بالتذكر. أما الفرد فيستبين كل هذه الأطروحة عن طريق الأحداث المنقولة. وفي هذه الأثناء يستطيع الفرد أن يتذكر ويكون له ذاكرة مطبوعة بالطابع الاجتماعي. وهنا على وجه الخصوص يتضح السمة التواصلية في مفهوم هلبواكس، فلولا النقل التواصلي[4] لما أمكن الحفاظ على ما يمكن تذكره، وفي الذاكرة الاجتماعية لا يبقى من الماضي إلا ما يستطيع المجتمع وفي كل حقبة يريد أن يركبه في إطار تعلقه في كل مرة. وفي هذه الأثناء لا يتم الحفاظ لا على الأحداث بما هي أحداث ولا على بعد المدى التاريخي الخاص بالتجارب والذكريات في المجتمع في الذاكرة الجماعية

[1] . الهولوكوست: هي المحرقة أو الإبادة الجماعية أو الكارثة الكبرى كما يسميها المؤرخين الإسرائيليين التي ألمت باليهود الأوروبيين في ألمانيا النازية إبان الحرب العالمية الثانية وتعتبر الهولوكوست عنصراً مركزياً من عناصر الهوية الجماعية اليهودية بحكم كونها الأساس الأهم من بين أسس التسويغ لوجود إسرائيل على أرض فلسطين منذ عام 1948 (يوغرست2007، 327).

[2] . الأيديولوجيا: هي منظومة فكرية إعتقادية سائدة، وأداة رئيسية من أدوات السلطة الحاكمة، وموجها من موجهات العلاقات بين الدول، فالأيديولوجيا تنشأ وتعمل في المجتمع، وهي لها صلة وثيقة بالنزعات والرغبات والمصالح الجماعية، وبالرموز والقيم والتطلعات التي تجعل الجماعات معنى حياتها التاريخي متعلقاً بها (نصار 1994، 38- 39).

[3] . القومية: يعرفها بنديكت أندرسون من منطلق إنثربولوجي هي مجتمع سياسي متخيل وهو متخيل في كونه محدد الأصول وذا سيادة وكما اعتبرها نوع من النتاج الثقافي، وكان ظهور القومية في نهايات القرن الثامن عشر نتيجة لعملية ألتقاء معقدة بين قوى تاريخية متباينة، ولكنها بمجرد وجودها أصبحت قابلة للتحول وقادرة على التغير بدرجات مختلفة من الوعي بالذات لتصبح تنويعة كبيرة التضاريس الاجتماعية وتندمج في تنويعة متماثلة واسعة من التشكيلات السياسية والأيديولوجية. (أندرسون 1999، 13- 14).

[4] . الذاكرة التواصلية أو النقل التواصلي هي تلك الأنواع من الذاكرة الجماعية التي تركز حصراً على التواصل الموجود في الحياة اليومية، ويرد أسمن جانب التناقل والمشافهة وفعالية (الرموز) الثقافية، إلى ما وراء الحملة الأحياء للذكرى، وهو يرى أنه يحافظ على بقائه، للطابع الذي يكتسبه الإنسان عن طريق تبعيته لثقافة محددة، من جيل إلى جيل (Assmann/ Holscherm 1988, 15) في (يوغرست 2007، 312).

بل يتم الحفاظ في المقام الأول على المعنى الذي تحمله هذه الجماعة عن مجتمع ما، وبموجب ذلك تكون الذاكرة الجماعية قبل كل شيء هي مؤسسة لإضفاء المعنى وإنشاء الهوية. (هلبواكس 1985، 121- 290) في (يوغرست 2007، 311- 314).

فالهوية هي كيفية تعريف الفرد لذاته، فهي حقل متعدد الأبعاد، ذو طبيعة جدلية يضم متناقضات واختلافات تتحرك داخل عملية صيرورة. بهذا المعنى الذي نستمده من حقل الهوية المتعدد والمختلف. منه يحدد كل شخص موقعه الخاص داخل العملية الإجتماعية، أو على الأقل انطلاقاً منه يتحدد موقعه. وانظراً لهذا التشابك الموجود بين الذات وحقل الهوية فمن السياق الإجتماعي العام، فإنه كلما إنضاف عنصراً إلى هذا الحقل أو مسه من قريب أو بعيد، فإن الذات والسياق العام الذي ينتمي إليه ينفعل بالضرورة بهذا العنصر أو يتفاعل معه حسب منطق الصراع والاختلاف الذي يميز حقل الهوية. (أفاية 1988، 22).

أما الذاكرة الجمعية حسب هلبواكس مرتبطة بالطابع الإجتماعي للتذكر الفردي، فإن إستناد الأفراد في استعادتهم وتحديدهم للماضي إلى الإطارات المرجعية الاجتماعية يجعل ذكرياتهم ذات طابع مرجعي جمعي. ويعتبر هلبواكس الذاكرة المشتركة لجماعة بشرية معينة شرطاً لا محيد عنه لوجود هذه الجماعة نفسها حيث أنها تؤسس هويتها عبر التذكر الجماعي. هذه الهوية الجماعية هي نتيجة للتفسير المشترك للماضي الخاص بتلك الجماعة، وعلى هذا الأساس يمكن القول أن الذاكرة الجمعية هي ذاكرة الذاكرات الجماعية، أو الجمع الرمزي لهذه الذاكرة في مجتمع بشري ما ، وهنا تتجلى بوضوح وظيفة الذاكرة الجمعية في علاقاتها مع المجتمع كما يراها هلبواكس وهي تأسيس المجتمع وضمان صيرورتها (هلبواكس 1985، 149- 271) في (يوغرست 2007، 317- 319).

ولأن النكبة[5] الفلسطينية أصبحت موقعاً للذاكرة الجماعية الفلسطينية وأحد العناصر التكوينية في الهوية الفلسطينية، وبموجبها إنتقل المجتمع الفلسطيني إلى حالة جديدة من التدمير الشامل الكامل لوحدة وجوده واستقراره على أرضه أولاً، ولتغيير هيكله الإجتماعي الإقتصادي تغييراً مقحماً قسرياً، ثانياً، فعلى صعيد العامل الأول إنقسم الشعب إلى مجموعات سكانية في الضفة الغربية وقطاع غزة والأراضي المحتلة عام 1948، ولاجئ الشتات، وعلى صعيد العامل الثاني، فقد اقتلع الفلاح وغابت نسبياً طبقة كبار الملاك الذين تركزوا في الساحل وأصبح المخيم يجمع شتات القرى والمدن وتولدت نسبة عالية من فاقدي وسائل الإنتاج والعيش (محمد ونزال 1994، 15).

[5]. النكبة: كان المؤرخ اللبناني قسطنطين زريق أول من استعمل مصطلح النكبة لوصف أحداث 1948 وذلك في كتابه "معنى النكبة" الصادر في آب 1948، وهو الإسم الذي يطلقه الفلسطينيون على تهجيرهم وهدم معظم معالم مجتمعهم السياسية والاقتصادية والحضارية عام 1948، وهي السنة التي طرد فيها الشعب الفلسطيني من بيته وأرضه وخسر وطنه لصالح إقامة الدولة اليهودية – دولة إسرائيل. وتشمل النكبة احتلال معظم أراضي فلسطين من قبل الحركة الصهيونية وطرد ما يربو على 750ألف فلسطيني وتحويلهم إلى لاجئين، كما تشمل الأحداث عشرات المجازر والفظائع وأعمال النهب ضد الفلسطينيين وهدم حوالي 500 قرية وتدمير المدن الفلسطينية الرئيسية وتحويلها إلى مدن يهودية (أمارة وكبها 2005، 11).

3. العوامل المؤثرة على الذاكرة الجماعية والهوية الفلسطينية

ولفهم أعمق للعوامل التي أثرت على الذاكرة الجماعية والهوية الفلسطينية، وعلى الصور انعكاس الصور في الدماغ لدى الفلسطينيين بناءاً على تجاربهم العملية على أراضيهم قبل احتلالها عام 1948 اعتمدت الدراسة على منهج النظرية المادية الديالكتيكية[6] في المعرفة وذلك لإعتمادها الأساسي على مفهوم الممارسة الإجتماعية بوصفها أساساً للمعرفة ومعياراً ليقينتها، وعلى التطور التاريخي للمعرفة العلمية. هذا ويفهم لينين الممارسة الإجتماعية على أنها مجمل نشاطات الناس المادية كالإنتاج الإجتماعي[7] والتجارب والإكتشافات والأبحاث العلمية والصراع الطبقي، ويقول لينين في الممارسة التي تفيدنا كمقياس في نظرية المعرفة، يجب أن ندرج أيضاً المشاهدات والاكتشافات الفلكية... الخ (لينين 1983، 143).

لأن النظرية المادية تتعامل مع الذهن الإنساني على أنه ثمرة التطور والتجربة الإنسانية منذ آلاف السنين وكما أنه ثمرة الممارسة العملية، فبذلك يكون الوعي نتاجاً إجتماعياً فإذا كان الوعي يتولد من الطبيعة والمجتمع فهو إذا ليس وعياً غريباً عليهما، وهو يستطيع أن يعكس بدقة قوانين الطبيعة والمجتمع من خلال العلم والتجارب العلمية المرتبطة بالعمل وعلى التطبيق العملي والإجتماعي، فالتطبيق العملي إذن نشاط الإنسان الذي يحول الواقع، وهو يبدأ بالعمل المادي والإحساس على إعتبار أن الإحساس حركة مرتبطة بالنشاطات العملية، إذن التطبيق العملي هو مصدر الأحاسيس والإنفعالات، كما أنه مصدر أول درجة للمعرفة فهو أيضاً إنتاج للأشياء (يوليتزر 1970، 302- 303).

تعتبر الدراسة الصور لدى الفلسطينيين وسيلة مهمة لحفظ الهوية الوطنية والذاكرة الجماعية فهي حصيلة التجربة الإنسانية لهم على أراضيهم (فلسطين التاريخية) عبر الزمن التاريخي التراكمي، وبسبب تجربة اللجوء تكون الصورة لدى الفلسطينيين من خلال سيرهم الذاتية صوتاً جماعياً أي إعادة تعريف للإنسان المضطهد، بشكل يحيل على ما كانه، وعلى ما يجب أن يكون عليه (دراج 2002، 82). لهذا لجأت الدراسة إلى منهجية التاريخ الشفوي من منظور نسوي للوصول إلى المهمشين وخصوصاً النساء للحصول على

---

[6]. الديالكتيك هو علم التطور أو بعبارة أدق هو علم القوانين الأكثر شمولية لكل تطور ويعرف لينين الديالكتيك على أنه علم وحدة الأضداد ويؤكد تأكيداً خاصاً على أن المتناقضات إذ تشترط عملية التطور، لا تبقى ثابتة أثناء هذه العملية، ولذا يتوجب النظر إلى التطور على أنه تفتح المتناقضات. (أسموس وأويزرمان وروتكيفتش 1971، 798- 699).

[7]. الإنتاج الاجتماعي إن الإنتاج بطبيعته عملية اجتماعية ولكي ينتج الناس يجدون أنفسهم مضطرون للدخول في علاقات اجتماعية معينة مستقلة عن وعيهم وإرادتهم، تتلائم مع مستوى تطور القوة المنتجة في المجتمع. إن علاقات الإنتاج "وهي علاقات الناس بالطبيعة وهي دائماً ذات طابع اجتماعي نتيجة للعلاقات التي تنشأ بين الناس فيما بينهم بسبب الإنتاج والعلاقات بين الناس تتصل بالإنتاج وتخضع له تماماً"، والقوى المنتجة "هي الوسائل المادية التي ينتجها المجتمع للحصول على حاجاته الأساسية في الحياة مثل الآلات وهي العنصر الأساسي الذي يسمح بتحديد حالة قوى الإنتاج لأن طبيعة هذه الآلات هي التي تحدد عدد الناس الضروري لإتمام عمل معين، والمعارف التقنية الضرورية، وعادات العمل التي يكتسبها المنتج باستخدامه لها". والقوى المنتجة التي تأتي نتيجة لعمل الأجيال السابقة ومستقلة عن الجيل الواحد، لا تتكون تبعاً لأهواء الناس بل نتيجة للضرورة وفي حين تشكل القوى المنتجة مضمون عملية الإنتاج الاجتماعي، تمثل علاقات الإنتاج شكلها الضروري (أسموس وأويزرمان وروتكيفتش 1971، 647).

بعض الأجزاء من المعلومات المتعلقة بحياتهن الإجتماعية والإقتصادية، والتراث الشعبي المغيب لهن في التاريخ المكتوب فتقول هدى الصدة "إن المنظرو النسوي يساعدنا في البحث عن المرأة بإعتبارها ذاتاً فعالة في التاريخ. لها دور إيجابي في الحياة، فنعيد نحن المؤرخات النسويات تقييم الدور الذي لعبته نخبة من النساء، تذكرهن كتب التاريخ بإقتضاب، ولا تعطيهن حقهن، وأخريات تجاهلهن التاريخ والمؤرخون، فسقطن تماماً من الذاكرة القومية، ومن المؤكد أن البحث الدؤوب في المصادر التاريخية المختلفة التي لا تقتصر على كتب التاريخ، ولكن تشمل السير والأغاني والمراجع الأدبية سوف يكشف عن العديد من الشخصيات النسائية التي ساهمت مساهمة فعالة في صنع الحضارة، وتضيف الصدة أن قراءة التاريخ من منظور نسوي نقدي يأخذ في الإعتبار التحيز المجتمعي والحضاري ضد المرأة والذي تفشى في عصور مختلفة، وأفرز أنماطاً من القيم والأفكار التي تحقر المرأة، كما يأخذ في الإعتبار الإتجاهات الفكرية والأيديولوجية السائدة التي تعزز مواقف وتفسيرات مغلوطة أو غير مبررة" (الصدة ورمضان وابو بكر 1998، 4).

وتؤكد روز ماري صايغ أن النساء في كثير من الحضارات، كما هو الحال بالنسبة للقرويات الفلسطينيات هن الناقلات لأنماط السلوك الشعبي والحضاري الذي يتلائم مع النموذج التراثي في التأريخ (صايغ 2008، 27)، حاولت الدراسة تمكين النساء الريفيات ونساء الطبقة الفقيرة في المدن من عكس صورهن للوطن بناءً على رويائهن الشفوية والتي بدورها أبرزت التباين والتعدد في الذاكرة الفلسطينية الناتج عن التعدد في الخلفيات الإجتماعية والطبقية وفي النوع الاجتماعي وفي نشاطات العمل المختلفة لهم، والتي بدورها أسهمت في التنوع والتعدد في الصور، وبذلك تمكنت الدراسة من نفي التعميمات الموجودة في الدراسات التاريخية من خلال إظهار التباين والتعدد في الصور الذي يعكس الواقع الفلسطيني المتحول، والتي عادة تظهرها الدراسات التاريخية على أنها نمطية وثابتة، وكذلك أوضحت الدراسة أن أسباب غياب النساء عن التأريخ وخصوصاً النساء الريفيات ونساء الطبقة الفقيرة في المدن تعود إلى تدني موقعهن الطبقي وحسب النوع الاجتماعي لا إلى مساهمتهن الفعلية في المجتمع، وحسب طرح ميشيل روزالدو فهي ترى أن مكانة المرأة في الحياة الاجتماعية الإنسانية لا تنتج مباشرة عن الأشياء التي تقوم بها "ولا عن وظيفتها البيولوجية" ولكنه نتاج المعاني التي تكتسبها الأنشطة التي تقوم بها من خلال تفاعل اجتماعي محدد (Rosaldo 1980, 400).

وتظهر الدراسة النظرة الفوقية والأفكار الاستشراقية التي تعكسها الأبحاث والدراسات النسوية الغربية التي يتم إنتاجها في أمريكا وأوروبا الغربية حول نساء العالم الثالث وعملهن، والتي تؤكد فيه هذه الدراسات أن الدين الإسلامي هو العامل الوحيد في تحديد مكانة النساء ونشاطاتهن العملية المختلفة من خلال تركيز تلك الدراسات على المرأة في المجال المنزلي حيث العادات والثقافة السائدة التي لا تسمح بعمل المرأة خارج المنزل، فتشير (Tucker 1985, 3) تحديد الصفحات التي رجعتي اليها. إلى تجاهل النساء بشكل عام من تاريخ الشرق الأوسط، وأن هناك مفاهيم خاطئة حول هذا التاريخ وأن الدراسات الإستشراقية ترى أن تاريخ الشرق متأثراً أساساً بالدين الإسلامي، وينظر إلى تاريخ النساء وموقعهن بناءً على الثقافة الإسلامية وليس كنتيجة للعلاقات المركبة

للقوى المادية والتصاميم الأيديولوجية وأنه ما زالت هناك النظرة المسيطرة في الغرب والتي تربط الغرب بالتقدم والتحديث، والشرق بالتخلف والتقليد (Tucker 1985, 3)

4. صور النساء للوطن المسلوب

الدراسة بدورها أوضحت أن النساء الريفيات ونساء الطبقة الفقيرة في المدن خرجن للعمل وكانت لهن إسهامات اقتصادية واضحة في إقتصاد الأسرة، وأن الحاجة الإقتصادية الحرجة لهن وسوء توزيع المهمات والأدوار في العمل الزراعي كانا وراء خروجهن للعمل: فتصور الحاجة آمنة أيوب عبد الجواد من قرية بيت عفا قضاء غزة ومواليد عام 1933م، كان عمرها 15 عام عند النكبة عمل نساء قريتها "كلشي كانت تشتغل المرأة، كانت تحصد وتفلح وبعدين في دارها تعجن وتخبز وتطبخ وتزبل الطابون، كان شغل المرأة أصعب من شغل الزلمة، والنسوان كمان كانوا يروحوا يحطبوا". وتظهر الصور الواردة في الدراسة العناصر المكونة لصور النساء كما إلتقطتها أجسادهن وبما أبصرته أعينهن وبما إخترقته أذانهن وبما لامسته أجسادهن أثناء وجودهن في الوطن قبل إقتلاعهن فيه بالإعتماد على تجاربهن الحياتية العملية فيه.

لذا شكل الوطن (المسلوب) بالنسبة للنساء الفلسطينيات مصدراً لصورهن، الحاجة بديعة مبروك فليفل من مدينة الرملة ومواليد عام 1930م، كان عمرها 18 عاماً وقت النكبة، تجسد صورة المكان كالتالي "بيتنا جوة بيارتنا في الرملة، وفي عندنا بيت عقدة كبير 6 ×6 وبيتين مبنيات كنا بدنا نعقدهم بس طلعنا من البلاد، وعنا عريشة وغرفة للخبز نعجن ونخبز في الدار ونخزن الحطب. وكان عنا أرانب وجاج وغنم وحمام، وكان عنا غرف لهذه الحيوانات كانوا طول نهارهم في البيارة وعند المغرب لما تعتم الدنيا نعبرهم في الغرف". الوطن من خلال الصور التي لدى النساء هو الوقود اللازم لإعادة تشغيل التاريخ وشحنه بالذاكرة، ذاكرة المكان لأن المكان يمثل لهن معنى الوجود كنساء مقتلعات من أراضيهن، وبموجب صورهن للمكان سيتم استعادة صوتهن المغيب من التاريخ أولاً، وتفعيل ذواتهن كذوات فاعلة في الزمن الممتد كتاريخ ثانيا من خلال المعاني التي تحملها صورهن للمكان، ولأدوارهن المختلفة في المجتمع والتي تجاهلها التاريخ وأسقطها منه، ثالثاً، من خلال ذاكرة المكان التي تعكسها صور النساء سيتم إنجاز خارطة الوطن على مستوى المعرفة والانتماء اللذان سيسهمان في بناء الهوية، وحسب بيرنورا في دراساته لوظيفة الهوية للتذكر الجمعي والذي اعتبره بالمقابل الحسي للذاكرة الجمعية، أي ما أسماه بـ "أماكن الذاكرة" والتي تشمل أمكنة تاريخية وجغرافية وبنايات وتماثيل وأعمالاً فنية وكما تشمل أيضاً شخصيات تاريخية وأياماً تذكرية ونصوصاً فلسفية وعلمية والعديد من الأنشطة الرمزية (سوكاح 2008، 81 – 84)

وتظهر صور النساء الواردة في الدارسة ثلاث مستويات إجتماعية مختلفة ومتمايزة عن بعضها البعض في المدن والقرى التي إستهدفتها تبعاً للمكانة الاجتماعية (الوضع الطبقي) للأسر الفلسطينية ومنها الأسر الإقطاعية ذات الأملاك الكبيرة والنفوذ، فتصور الحاجة

خديجة خالد العزة مواليد 1932 من قرية تل الصافي قضاء الخليل كان عمرها 16 سنة وقت النكبة صورة أسرتها الإقطاعية كالتالي "كان عند أبوي حوالي (400) دونم أرض أرضنا كلها سهول بعدين حارة العزة كانت نص البلد، وبذكر كان عند أبوي بقر وغنم بطلعوا ويسرحوا في الخلاء، إحنا نسوان العزة ما كناش نطلع نزرع كان عنا حراثين هم يحرثوا ويزرعوا ويفلحوا، ونسوان الحراثين كانوا يشتغلوا عنا في الأرض وفي دورنا، وكنا إحنا حاملين البارود قبل ما اليهود يعبروا على بلادنا، وكنا دار العزة حاكمين 25 قرية حولينا"، يليهم في السلم الإجتماعي العائلات أصحاب الملكية المتوسطة، وهذه العائلات استفادت من التحولات الإقتصادية والإجتماعية في فلسطين في عهدي الحكم العثماني والإنتداب البريطاني، وأصبح بحوزتهم الأراضي الواسعة نتيجة فرض الضرائب الباهظة على الفلاحين مما دفع الفلاحين إلى بيع أراضيهم أو تسجيلها بأسماء الملاكين هرباً من الضرائب والديون المتراكمة عليهم ومع تقدم الزمن جرد الفلاح من أرضه وتم الإستيلاء عليها من قبل الملاكين الكبار والمتوسطين أمثال المخاتير ورجال الضريبة وكبار التجار والمشايخ، بالإضافة إلى إستيلاء حكومة الإنتداب على أراضي الفلاحين.

تصور الحاجة سارة عبد الله أبو لطيفة من قرية صرعة، من مواليد عام 1930م كان عمرها وقت النكبة 18 عاماً وهي إبنة مختار القرية الذي كان أكبر أثرياءها "حياة أبوي كان مختار البلد، زمان الناس كانوا فقرية كان أبوي شاري نص البلد، وأبوي كان عنده (400) راس غنم وبقر وكان حاطتهم وراء الدار عندنا، وكمان عنا جمال وخيل، وكان في دار أبوي أربعة خمسة يجوا يشتغلوا عنا من سريس وإثنين من بلدنا كمان، ويعطيهم أبوي قمح وشعير وإللي بدهم إياه بدل المصاري". أما العائلات الفقيرة التي لا تملك الأرض وتحول أبناءها إلى بروليتاريا أي عمال بالأجرة خارج القرية في أعمال البناء وشق الطرق وتعبيدها عند الإنجليز أو عمال زراعيين في مزارع اليهود. تعكس الحاجة سميحة محمد الزين حبوب من مدينة اللد، مواليد عام 1930م، كان عمرها عند النكبة 18 عام، صورة أحوال أسرتها "كان أبوي يشتغل نجار عند الإنجليز، وكان عنده منجرة صغيرة في الدار يشتغل فيها بعد الظهر بعد ما يرجع من شغله من عند الإنجليز، وحماي كان يخيط خياط وعمي كان تاجر له سيارة يضمن فقوس وخيار، وزلام اللد إللي كان يشتغل عند الإنجليز في الكبانية ويلي إله أرض يزرع ويفلح". هنا يظهر أهمية الدراسة المعمقة لخصوصية كل أسرة فلسطينية سواء كانت في المدن أم في الريف من حيث تركيبة الأسرة وحجم القوى العاملة فيها وجنسهم بعيداً عن التعميمات والتنميط.

ونجد أيضاً في الصور التي لدى النساء التنوع والإختلاف في النشاطات الإقتصادية لأفراد المجتمع الفلسطيني حيث عمل من لا يملكون الأراضي في الحرف والمهن اليدوية المختلفة خارج القرية، وعمل من يملك الأرض في أرضه الخاصة فكان ينتج ما يسد حاجات أسرته ويبيع الفائض الزراعي عبر التجار المتخصصين بذلك. أما العائلات الإقطاعية كان يعمل لديها الفلاحين الفقراء أمثال الحراثين وغيرهم من الخدم والعبيد. وإن نساء هذه الأسر الإقطاعية كانت لا تعمل في الأرض ولا في الأعمال المنزلية وكان يعمل لديهن نساء الفلاحين الفقراء. وأظهرت الدراسة المكانة الإجتماعية المرموقة لنساء الأسر الإقطاعية حيث كن يتمتعن بمكانة اجتماعية عالية داخل أسرهن مما أتاح لهن السيطرة وبسط النفوذ على من هم أدنى منهن في السلم الاجتماعي. تظهر صور النساء الواردة في الدراسة أيضاً الإختلافات والفروقات في الأدوار بين نساء المدن والقرى التي استهدفتهن الدراسة بعيداً عن التعميمات

الاستشراقية لواقع النساء العربيات والفلسطينيات، فكان هناك إختلافاً واضحاً في لباس نساء المدينة ونساء القرية حيث كانت نساء المدن ترتدي الملابس الغير مطرزة مع غطاء الرأس والوجه. تصور الحاجة زهرة أبو عرايس من مدينة يافا ومتزوجة في مدينة الرملة كان عمرها وقت النكبة 16 عام ومن مواليد عام 1932م، صورة لباس نساء مدينة الرملة "في الرملة كنا نطلع مغطيين وجهنا، فش الختيارية تغطي والمسيحية والمسلمة يغطوا، والمسيحيات الختيارات بقوا كلهم يغطوا، كانوا يلبسوا النسوان في الرملة ملاية طويلة وكاب وبرنس".

أما نساء القرية فكن يلبسن الأثواب المطرزة مع غطاء الرأس وبدون غطاء الوجه وهذا الأمر نابعاً من أدوار النساء الريفيات ونشاطاتهن المختلفة في العمل وذلك لتسهيل حركتهن أثناءه، وأوضحت الدراسة أن التطريز على الأثواب للنساء الريفيات مستوحاة من الطبيعة والبيئة وأن العروق والتطريز على المنسوجات تعود في أصلها إلى الجذور العربية الفلسطينية القديمة إلى العهد الكنعاني الذي اشتهر في الماضي بصناعة الأقمشة والمنسوجات المصبوغة، وأظهرت الدراسة الفوارق الاجتماعية في استعمال الأثواب المطرزة في الريف، الحاجة خديجة العزة تصور لباس نساء قرية تل الصافي "إحنا بنات العزة كنا نلبس حرير ومخمل وجوخ، أما باقي الناس في تل الصافي كانوا يلبسوا ثواب قماش عادية يجيبوها من الفالوجة، في كان يكون على الثوب خط أحمر وخط أخضر هذا القماش كان اسمه أبو حزين يستعملوه النسوان للشغل ويخدمهم" وكما أوضحت الدراسة التحولات في اللباس لأهالي المدن والريف، أما الإختلاف الثاني في الأدوار بين نساء المدن ونساء الريف الذي أظهرته الصور فهو عمل نساء المدن، وعمل نساء الريف الذي تركز في جله بالعمل الزراعي وشكل أهمية بالغة لحياة الأسرة وبقائها في الريف، فعملت المرأة الريفية بأرضها الخاصة أو عاملة بالأجرة لدى الأسر الإقطاعية، وكانت الأسباب الاقتصادية السيئة سبباً وراء خروج النساء الريفيات الفقيرات إلى العمل وتظهر الصورة حرية الحركة بالنسبة للمرأة الريفية سواء كانت حركتها داخل القرية لحصد المحصول أو لجمع الحطب أو تعبئة الماء أو تزبيل الطابون أو بيع المحصول الزراعي داخل القرية أو خارجها حيث كانت حركتها متاحة ومباحة طالما ارتبطت بأدوارها الإنتاجية، فتصور الحاجة مريم الخروبي من قرية لفتا قضاء القدس ومن مواليد عام 1933م، كان عمرها وقت النكبة 15 عام عمل نساء لفتا "كل النسوان كانوا يشقوا ويشتغلوا بالأرض ويبيعوا الخضرة وفي مرات كنا نبيع خضرتنا على القرى اللي حولينا إذا بدناش نبيعها في القدس".

أما بالنسبة للمرأة في المدينة فكان عملها محصوراً بالوظائف الرسمية مثل التعليم في المدارس ورياض الأطفال والتمريض، وعملها محدد الوقت بحدود وقت الوظائف الرسمية مما أتاح لها المجال لممارسة الأنشطة الاجتماعية المتنوعة مثل تبادل الزيارات وحضور الإحتفالات والأعراس بالإضافة إلى الأنشطة الثقافية مثل إرتياد النوادي والجمعيات الخيرية، وأن النساء الفقيرات في المدن عملن عاملات بالأجرة في الأراضي الزراعية لسوء أحوالهن الاقتصادية. تعكس الحاجة زهرة أبو العرايس صورة عمل النساء في الرملة "كان في معلمات في المدارس وفي الروضات من بنات الرملة، وكان في ممرضات في مستشفى الرملة، الرملة مدينة حلوة، وكان من خياطات يشتغلوا في دورهم. إحنا النسوان المتحضرات ما كناش نشتغل" والحاجة سميحة حبوب من مدينة اللد تعكس صورة عمل

النساء الفقيرات في اللد "في نسوان كانوا يشتغلوا زي العمال في الأراضي، يعبوا البندورة في العلب ويقطعوا الخيار والبطيخ وكلشي، هذول أغلبهم النسوان كانوا الأرامل اللي يشتغلوا".

وأظهرت الدراسة أيضاً الصورة التي تعكس تفوق المرأة في المدينة بالتعليم على المرأة في القرية بسبب كثرة المدارس في المدينة بالنسبة للإناث والذكور أما في القرية كان هناك الإهمال المتعمد من قبل حكومة الإنتداب البريطاني للريف والتقصير في فتح المدارس بالنسبة للإناث والذكور. وأظهرت الصور حرية الحركة والقدرة على المشاركة في الإحتفالات والمناسبات بالنسبة لنساء المدن فكانت حركتها متاحة ضمن نطاق الأسرة في المشاركة في إحياء المناسبات والاحتفالات والمواسم الدينية، الحاجة بديعة فليفل تصور حرية الحركة للنساء في الرملة "ما كانش عنا تلفزيون ولا اشي، كان عنا إشي زي الصندوق نحط فيه الاسطوانة ونسمع أغاني لعبد المطلب وأم كلثوم، وكنا نروح نشتري الاسطوانة من تل أبيب، نركب في الباصات كانوا الباصات من الرملة ليافا ومن يافا لتل أبيب. وكنا عادي نروح في بلادنا كان في حرية أكثر من المخيم هون بتلاقي ميت واحد يحكوا عليك".

أما المرأة الريفية فإن أعباءها وأعمالها الزراعية المتعبة طوال النهار لم تساعدها باستمرار في المشاركة بالإحتفالات والمواسم المختلفة، وأن مشاركتها كانت محدودة بالإضافة إلى إهمال وتقصير الانتداب البريطاني للريف الفلسطيني وأهله مما عرقل قدرة المرأة الريفية من المشاركة، سلطت الدراسة الضوء على الاختلافات في الأدوار بين الجنسين داخل المجتمع الفلسطيني المتحول الذي أظهرته الصور التي لدى الرجال والنساء، فأتت صور الرجال بواقع الحياة في المدينة والقرية بتفاصيلها وشموليتها وبجميع المرافق الإجتماعية والإقتصادية، وكذلك التحولات الإقتصادية والإجتماعية التي طرأت على المجتمع الفلسطيني بطريقة أعم وأشمل وأكثر تفصيلاً من صور النساء بحكم حرية الحركة التي كانت ممنوحة للرجال من قبل المجتمع، وتطرقت صور الرجال إلى تحول الكثير من أبناء الريف والمدن إلى عمال مأجورين عند الإنجليز، الحاج محمد محمود سالم من قرية أبو شوشة قضاء الرملة مواليد عام 1932م، وكان عمره وقت النكبة 16 عام يصور عمل الرجال في أبو شوشة "الزلام في بلدنا كانوا يشتغلوا عمال في يافا والرملة عند الإنجليز، وإشي منهم كان يشتغل بالزراعة يزرع ويفلح في البلد، كنا نشتغل عند الانجليز شهر زمان وشهر نقعد، وأنا عمري 16 سنة كنت أروح على البسكليت كل يوم على يافا وأروح أشتغل عند الإنجليز في تزفيت الشوارع ومد الطرق". وكذلك بينت الصور كيف تحولت بعض النساء الريفيات وبعض نساء المدن الفقيرات إلى عمال بالأجرة خارج نطاق أراضيهم الخاصة في فترة الانتداب البريطاني مثل العمل في قطف البرتقال ولفة ووضعه في صناديق للتصدير خارج البلاد.

وكذلك أظهرت الصورة عمل بعض النساء الريفيات في صناعة القش والحصر وصناعة الجبنة وتصديرها خارج حدود قراهن، يصور الحاج جمعة موسى الحجة من قرية العباسية ومن مواليد عام 1932م، كان عمره وقت النكبة 16 عام صورة عمل نساء العباسية "بلدنا العباسية مشهورة بزراعة الحمضيات، وبنات العباسية كانوا يشتغلوا بتلقيط البرتقال بالإيجار ويسلموا البرتقال بعد ما يلفوه بالنايلون ويبعوه بالصناديق للبيع، وكان في نسوان من بلدنا كانوا يشتغلوا في صناعة الحصر والقش إللي كانت العباسية

مشهورة فيها. كانت عائلات كبيرة ومعروفة في العباسية تشتغل بهذه الصنعة مثل عيلة مناصرة وحميدات والمصاورة ونسوان هذه العائلات هي اللي كانت تشتغل بالحصر والقش في دورهم ويطلعوا بره يبيعوا ليافا والرملة واللد".

5. خاتمة

بذلك وحسب صور الرجال المرأة الفلسطينية منتجة أساسية كالرجال ومساهمة في اقتصاد الأسرة، إلا أن صور النساء أظهرت امتعاض النساء من الشقاء والجهد الكبير المبذول من قبلهن في العمل الزراعي دون أن تشير النساء إلى سوء توزيع المهمات الزراعية ضمن العادات الفلاحية في مجتمع القرية، أما عن تقدير الرجال لعمل النساء وهذا الأمر يتنافى مع الآراء الإستشراقية التي تربط بين نساء العالم الثالث والمجال المنزلي، والرجال والمجال العام. وبالرغم من إظهار الصور التي لدى الرجال للتقسيم الجنسي لنشاطات العمل لكل من الرجال والنساء إلا أنه كان هناك مرونة وتوزع في نشاطات عمل النساء، مما يتحدى التقسيمات الجامدة المعتمدة في الدراسات حول اختلافات نشاطات كل من الرجال والنساء وثنائيتهما. الحاج أحمد مصطفى حماد من قرية سلمة قضاء يافا ومن مواليد عام 1908م، كان عمره وقت النكبة 40 سنة يصور عمل زوجته في القرية ويبدي مدى تقديره وافتخاره بعملها "مرتي كانت خياطة في سلمة، علمتها أمها الخياطة، وكانت تخيط لنسوان البلد وتوخذ مصاري وتساعدني في المصروف. كانت خياطة مشهورة في كل البلد تخطي عندها" عكست الصورة التي لدى الرجال حرية الحركة وتعدد وتنوع طرق قضاء أوقات الفراغ سواء كانت بالنسبة لرجال المدينة أو لرجال القرية فهي أكثر من حركة النساء بحكم الحرية الممنوحة للرجال من قبل المجتمع، وبحكم وفرة المرافق الترفيهية الخاصة بالرجال في المدينة والقرية مثل دور السينما والمقاهي والجمعيات الخيرية والنوادي الثقافية والمقامات الدينية والأسواق وهي جميعها مرافق عامة وروادها أكثرهم من الرجال، بينما مساحة الحركة للنساء وطرق قضاء أوقات فراغهن كانت معظمها مرتبطة بالعائلة وفي نطاقها أو في نطاق الحي الذي تعيش فيه، حركة النساء كانت مقصورة على الزيارات العائلية وحضور الأعراس واللقاءات المختلفة. لهذا أبدت صور النساء استياءها من صرامة القيود الاجتماعية التي كانت مفروضة عليهن من قبل المجتمع وتحد من حرية الحركة لهن وتبيح حرية حركة الرجال بنفس الوقت.

سلطت الدراسة الضوء على التعليم في فلسطين وبينت الأسباب التي أدت إلى تفوق الذكور على الإناث في التعليم، وبينت الصور لدى الرجال في الدراسة حق النساء في الميراث وأن المرأة كانت تورث مع أن هذا الأمر يتنافى مع واقع المجتمع الفلسطيني الذي كان يورث المرأة في حالات نادرة وخاصة جداً. الحاج إبراهيم العنابي من مدينة الرملة ومن مواليد عام 1929م وكان عمره زمن النكبة 19 سنة يصور قضية ميراث المرأة بالصورة التالية "كانت المرأة يورثوها الناس ويحنوا عليها، وإلها احترام زي الأرملة إللي جوزها ميت كانوا أخوتها يروحوا عليها كل يوم يزوروها". وأظهرت الدراسة صور النساء ومدى تحسرهن لحرمانهن من التعليم وإلقاء اللوم على المجتمع وعلى السياسات الإستعمارية في ذلك الوقت، وكذلك أظهرت صور النساء استياءهن من حرمانهن من

الميراث رغم عملهن المضني في الأرض بحجة المحافظة على أملاك العائلة. ناقشت الدراسة موضوع الزواج في فلسطين وسلطت الضوء على زواج البدل، وقرار الزواج واختيار العروس والعريس كان بيد الأب رب الأسرة وليس للعروسين.

وتطرقت الدراسة إلى الأكل الشعبي في فلسطين وتنوعه وأسباب التنوع والاختلاف من منطقة إلى أخرى. أثارت الصور في الدراسة للرجال والنساء مدى قدرة الفلسطينيين على التكيف مع واقع الحياة الجديدة الذي فرضته النكبة والتهجير وتفاوته بينهم مع أن النكبة وحدت الفلسطينيين في أنها تركتهم جميعهم بلا وطن، إلا أن تجربة اللجوء والتهجير والعيش بدون وطن تفاوتت بينهم بشكل واسع تبعاً للمكانة الإجتماعية "الموقع الطبقي" التي كان ينتمي إليها الفرد قبل النكبة وما آل إليه مصيره بعدها، وتبعاً للمنطقة التي كان يسكنها قبل النكبة ومكان سكناه بعدها، وكذلك اختلفت القدرة على التكيف بين الرجال والنساء فكانت قدرة النساء على التحمل والمسك بزمام الأمور أقوى من قدرة الرجال. لذلك ابتكرت النساء وسائل واستراتجيات للتأقلم والتكيف مكنتها من الصمود والمواجهة مع صعوبات الحياة أثناء النكبة والتهجير وبعدها أيضاً لذا خرجت النساء إلى العمل بالأجرة للحفاظ على بقاء أسرهن، وكشفت الصور أيضاً دور وكالة الغوث في دعم اللاجئين الفلسطينيين بعد النكبة وإقامة المخيمات الفلسطينية المختلفة، وأوضحت الصور شح الأعمال بالنسبة للرجال وأن أكثر الرجال لم يعملوا بعد النكبة وأن توجههم للعمل كان بعد حرب 1967 بعد احتلال إسرائيل للضفة الغربية وقطاع غزة وفتح سوق العمل في فلسطين المحتلة في وجه الفلسطينيين. سلطت الدراسة الضوء على أهمية دور نساء قرية صرعة المحتلة وقدرتهن على استغلال محاصيل أراضيهن رغم احتلال قريتهن، والإستفادة منها في تعليم أبناءهن وتدبير أمور أسرهن الاقتصادية، تناولت الدراسة شعور الفلسطينيين بالهزيمة ومطاردتها لهم على مدار واحد وستين عاماً. تناولت الدراسة أيضاً أهم التحولات التي طرأت على اللباس الفلسطيني وبعض العادات الاجتماعية الأخرى بعد النكبة مثل حرية اختيار الزوج والزوجة، والتخلي عن غطاء الوجه بالنسبة لنساء المدن وذلك بسبب العيش في المخيمات والاختلاط الواسع بين الفلسطينيين وغيرهم من الشعوب التي لجأت إليها أو بسبب خروج النساء إلى العمل والتحاقهن في التعليم.

وأخيراً تنبع أهمية هذه الدراسة من تقديرها للنساء وقيمة مساهمتهن الاقتصادية والاجتماعية في المجتمع الفلسطيني بالإضافة إلى اهتمامها بتأريخ صورهن التي تعكس ذاكرتهن المتضمنة لأدوارهن الاقتصادية والاجتماعية لكي لا ننسى، وحسب نادية سيرميتكس "لا يمكن فقدان الحواس ولكن يمكن فقدان ذاكرة الحواس، والذاكرة هي التي تنظم وتصل وتنتقل بين جميع الحواس وهي شيء داخلي في كل حاسة، وهي مجال الخبرة الحسية، وهي التي تحزن الخبرات الطوعية والغير طوعية التي يتعرض لها الإنسان" (, Seremetakis 19949).

6. لائحة المراجع بالعربية:

أسموس، ف.، ت. أويزرمان ، و م. روتكيفتش. 1971. *موجز تاريخ الفلسفة*. ترجمة توفيق إبراهيم سلوم. موسكو: دار الفكر.

إفاية، محمد نور الدين. 1988. *الهوية والاختلافات في المرأة، الكتابة والهامش*. دون مكان نشر: إفريقيا الشرق.

الصدة، هدى، سمية رمضان، واميمة ابو بكر. 1998. *زمن النساء والذاكرة البديلة: مجموعة أبحاث*. القاهرة: ملتقى المرأة والذاكرة.

إمارة، محمد، ومصطفى كبها. 2005. *هوية وانتماء مشروع المصطلحات الأساسية للطلاب العرب*. حيفا: مركز مكافحة العنصرية ومركز ابن خلدون الجمعية العربية للبحث والتطوير.

أندرسون، بنديكت. 1999. *الجماعات المتخيلة*. ترجمة محمد الشرقاوي. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.

دراج، فيصل. 2002. *ذاكرة المغلوبين الهزيمة والصهيونية في الخطاب الثقافي الفلسطيني*. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

سعيد، إدورد. 2000. "الاختلاق، الذاكرة والمكان." ترجمة: رشاد عبد القادر. *مجلة الآداب الأجنبية*، عدد 104.

سوكاح، زهير. 2008. "الهوية بين الكتابة التاريخية والذاكرة الجمعية نحو نموذج ذاكرتي فلسطيني." *رؤى تربوية*، عدد 27: 81 ــ 84.

صايغ، روز ماري. 2008. "حكايات النساء عن النكبة بين الوجود والمعرفة." ترجمة مرام عوض الله. *رؤى تربوية*، عدد 27: 26 ــ 35.

لينين، فلاديمير ايليتش. 1983. *المؤلفات الكاملة ــ المجلد 18*. ترجمة إلياس شاهين. موسكو: دار التقدم.

محمد، جبريل، وواصف نزال. 1994. *قرى بلا فلاحين: دراسة في التركيب الطبقي لفلسطين 48*. القدس: مركز الزهراء للدراسات والأبحاث.

مصالحة، نور الدين. 2003. *إسرائيل وسياسية النفي – الصهيونية واللاجئين الفلسطينيين*. ترجمة عزت الغزاوي. رام الله: مدار المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية.

ناشف، إسماعيل. 2007. "تأزيم الحداثة، ترنيم المعرفة." *مجلة مدى*، عدد 3: 98 ــ 134.

نصار، ناصيف. 1994. *الأيديولوجية على المحك فصول جديدة في تحليل الإيديولوجية ونقدها*. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.

يروغرست، كارن. 2007. "استحضار الماضي: تقبل الكارثة اليهودية والنكبة الفلسطينية في الصراع الفلسطيني الإسرائيلي." في *عميان عن التاريخ؟! العرب وألمانيا النازية واليهود*، ترجمة محمد جديد. بيروت: شركة قدمس للنشر والتوزيع.

يوليتزر، جورج. 1970. *أصول الفلسفة الماركسية*. ترجمة: شعبان بركات. بيروت: منشورات المكتبة العصرية.

7. لائحة المراجع الإنكليزية:

Rosoldo, M. 1980. “The Use and Abuse of Anthropology- reflections on Feminism and cross- cultural Understanding.” *Signs* 5(3): 389-417.

The Senese still. New York: University of Chicago . 1994. Seremetakis, C. Nadia Press.

Women in nineteenth – Century Egypt. England: Cambridge .Tucker, J. 1985 University press.

8. لائحة المقابلات

المقابلات	البلد الأصلي	تاريخ المقابلة
1. زهرة أبو عرايس	يافا	2008/10/31
2. سمحية حبوب	اللد	2008/11/24
3. سارة أبو لطيفة	صرعة	2008/11/30
4. آمنة أيوب عبد الجواد	بيت عفا	2008/11/21
5. خديجة العزة	تل الصافي	2008/10/30
6. مريم الخروبي	لفتا	2008/10/15
7. بديعة فليفل	الرملة	2008/12/6
8. إبراهيم العنابي	الرملة	2008/12/28
9. محمد محمود سالم	أبو شوشة	2008/9/15
10. جمعة موسى الحجة	العباسية	2008/11/24
11. أحمد حماد	سلمة	2008/11/17